الافتتاحية

الرسائل الرعويّة: رسول الربّ تلميذٌ أمين وراعٍ صالح

رئيس التحرير

١ – أصالة الرسائل الرعوية

يطرحُ علماءُ الكتاب المقدّس، الباحثون في الرسائل الرعويّة الثلاث، ١ و٢ تيموتاوس وتيطس، السؤالَ حول **أصالة هذه الرسائل**، أي إذا كانت من إنتاج بولس شخصيًّا أم من وضْع هذا أو ذاك من تلاميذه. ولا يتردّد البعض في نَفي نِسْبَتِها إلى بولس لهذا أو ذاك من الأسباب. بالرغم من ذلك، وإلى أن تقول الكنيسة كلمةَ الفصْل في هذا المجال، بالاستناد إلى ما يتوصّل إليه علماؤها الساعون إلى الحقيقة ليس إلاّ، ستبقى هذه الرسائل إرثًا بولسيًّا ثمينًا يواصل إغناء قارئيه والمتبحّرين فيه بخيرات روحيّة لا عَدّ لها.

٢ – الهم الكنسي

تشهد ١ و٢ تيموتاوس وتيطس على ما كانت تعيشه الجماعات التي كان بولس قد أسّسها؛ فالمشاكل لم تكن فيها قليلة ولا سهلة، إنْ من حيث **الأمانة لتعاليم الرسول** المؤسِّس، وبالتالي للربّ بالذات، وإنْ من حيث تَسَلُّل **المعلّمين الكَذَبَة** ووَسْوَسَتِهم للمؤمنين ليُضِلّوهم، أو أيضًا من حيث **تنظيم الخدَم في الكنيسة**، الرجالية منها أو النسائية، وأخيرًا لا آخرًا كيفية التعاطي مع المجتمعات غير المسيحيّة ثقافةً وحياةً اجتماعيّة وغير ذلك.

وعلى خلاف رسائل بولس الأخرى التي وجّهها إلى جماعات كنسية سبق أن أسّسها، تبدو ١ و٢ تم وتيط وكأنها **رسائل شخصيّة**، كما الرسالة إلى فيلمون التي تعالج أمرًا مُحَدَّدًا، هو العفو عن أونسيموس، العبد الذي فرّ من سيّده، مع فارق أساسيّ هو أن ١ و٢ تم وتيط تُعنى **بتنظيم الجماعات المسيحية**، وتتضمن لهذه الغاية **توصيات** عدّة للقيّمين على شؤون هذه الجماعات، و**تحذيرات** حازمة، **وحثًّا** قويًّا على البرّ والتقوى.

بالرغم من أنّ الرسائل الرعويّة هي موجّهة إلى تيموتاوس وتيطس شخصيًّا، فإنّه بالإمكان الاعتقاد أنّ بولس كان يقصد في الوقت عينه كلّ أعضاء الجماعة المسيحيّة، وهذا ما نتبيّنه من مضمون الرسائل عينها، كما أيضًا من السلام المُدْرَج في ختام كلٍّ منها بصيغة الجمع: "النعمة معكم" (١ تم ٦: ٢١؛ ٢ تم ٤: ٢٢؛ تيط ٣: ١٥ حيث يضيف كلمة "كل").

إنّ الكنيسة هي إذًا في قلب الرسائل الرعويّة، إنْ في الناحية الأكثر إيلامًا، والمتعلّقة بأزمة إيمان ناتجة عن ظهور "الهرطقات" الأولى، وإنْ في الصيغة المضاعفة والغنيّة للمواهب وللخِدَم المتنوّعة التي ينبغي القيام بها بأمانة وكرامة. في جملة هذه الواجبات في الكنيسة، هناك مدى هامّ محفوظ للفضائل البشريّة، والنضج، والاتّزان. إنّ الحقائق الإيمانيّة التي يتوجّب الدفاع عنها هي مذكورة في سلسلة الاستشهادات من التأكيدات اللاهوتيّة التي تُبْرَز وكأنّها معروفة ومقبولة؛ هذه هي علامة حضور تقليد حقيقيّ وخاصّ للإيمان المتجذّر في الجماعة المسيحيّة.

٣ – خصوصية الرسائل الرعوية وارتباطها بالتقليد

ممّا لا شكّ فيه أنّ للرسائل الثلاث مكانَها بين الرسائل

الافتتاحية

الرسائل الرعويّة: رسول الربّ تلميذٌ أمين وراعٍ صالح

رئيس التحرير

١ – أصالة الرسائل الرعوية

يطرحُ علماءُ الكتاب المقدّس، الباحثون في الرسائل الرعويّة الثلاث، ١ و٢ تيموتاوس وتيطس، السؤالَ حول **أصالة هذه الرسائل**، أي إذا كانت من إنتاج بولس شخصيًّا أم من وضْع هذا أو ذاك من تلاميذه. ولا يتردّد البعض في نَفي نِسْبَتِها إلى بولس لهذا أو ذاك من الأسباب. بالرغم من ذلك، وإلى أن تقول الكنيسة كلمةَ الفصْل في هذا المجال، بالاستناد إلى ما يتوصّل إليه علماؤها الساعون إلى الحقيقة ليس إلاّ، ستبقى هذه الرسائل إرثًا بولسيًّا ثمينًا يواصل إغناء قارئيه والمتبحّرين فيه بخيرات روحيّة لا عَدّ لها.

٢ – الهم الكنسي

تشهد ١ و٢ تيموتاوس وتيطس على ما كانت تعيشه الجماعات التي كان بولس قد أسّسها؛ فالمشاكل لم تكن فيها قليلة ولا سهلة، إنْ من حيث **الأمانة لتعاليم الرسول** المؤسِّس، وبالتالي للربّ بالذات، وإنْ من حيث تَسَلُّل **المعلّمين الكَذَبَة** ووَسْوَسَتِهم للمؤمنين ليُضِلّوهم، أو أيضًا من حيث **تنظيم الخدَم في الكنيسة**، الرجالية منها أو النسائية، وأخيرًا لا آخرًا كيفية التعاطي مع المجتمعات غير المسيحيّة ثقافةً وحياةً اجتماعيّة وغير ذلك.

وعلى خلاف رسائل بولس الأخرى التي وجّهها إلى جماعات كنسية سبق أن أسّسها، تبدو ١ و٢ تم وتيط وكأنها **رسائل شخصيّة**، كما الرسالة إلى فيلمون التي تعالج أمرًا مُحَدَّدًا، هو العفو عن أونسيموس، العبد الذي فرّ من سيّده، مع فارق أساسيّ هو أن ١ و٢ تم وتيط تُعنى **بتنظيم الجماعات المسيحية**، وتتضمن لهذه الغاية **توصيات** عدّة للقيّمين على شؤون هذه الجماعات، **وتحذيرات** حازمة، **وحثًّا** قويًّا على البرّ والتقوى.

بالرغم من أنّ الرسائل الرعويّة هي موجَّهة إلى تيموتاوس وتيطس شخصيًّا، فإنّه بالإمكان الاعتقاد أنّ بولس كان يقصد في الوقت عينه كلّ أعضاء الجماعة المسيحيّة، وهذا ما نتبيّنه من مضمون الرسائل عينها، كما أيضًا من السلام المُدْرَج في ختام كلٍّ منها بصيغة الجمع: "النعمة معكم" (١ تم ٦: ٢١؛ ٢ تم ٤: ٢٢؛ تيط ٣: ١٥ حيث يضيف كلمة "كل").

إنّ **الكنيسة هي إذًا في قلب الرسائل الرعويّة**، إنْ في الناحية الأكثر إيلامًا، والمتعلّقة بأزمة إيمان ناتجة عن ظهور "الهرطقات" الأولى، وإنْ في الصيغة المضاعفة والغنيّة للمواهب وللخِدَم المتنوّعة التي ينبغي القيام بها بأمانة وكرامة. في جملة هذه الواجبات في الكنيسة، هناك مدى هامّ محفوظ للفضائل البشريّة، والنضج، والاتّزان. إنّ الحقائق الإيمانيّة التي يتوجّب الدفاع عنها هي مذكورة في سلسلة الاستشهادات من التأكيدات اللاهوتيّة التي تُبْرَز وكأنّها معروفة ومقبولة؛ هذه هي علامة حضور تقليد حقيقيّ وخاصّ للإيمان المتجذّر في الجماعة المسيحيّة.

٣– خصوصية الرسائل الرعوية وارتباطها بالتقليد

ممّا لا شكّ فيه أنّ للرسائل الثلاث مكانَها بين الرسائل

البولسيّة، خاصة لأنّ لها **أسلوبها ومصطلحاتها**، التي تختلف عن أسلوب ومصطلحات بولس في الرسائل الأخرى. ومن ناحية **المضمون**، يُطْرَح السؤال حول هويّة **الهرطقات** التي تندّد بها هذه الرسائل؛ هل هي الغنوصيّة التي حاربها آباء الكنيسة في القرن الثاني، أم غيرها؟ كذلك يعني الكلام في الرسائل التي نحن بصددها على تنظيم الكنيسة أنّنا قد صرنا في مرحلة متقدّمة تاريخيًّا، خاصة عندما يكون موضوع الخِدَم في الكنيسة مطروحًا بهذا التمييز بين المسؤوليات (أساقفة، وشيوخ، وشمامسة، وأرامل...)، الأمر الذي يسمح بالاستنتاج بأن مرحلة زمنية هامّة كانت الكنيسة قد قطعتها عند تحرير هذه الرسائل. حاليًّا يميل العديد من الباحثين إلى اعتبار الرسائل الثلاث أنّها ليست من وضْع بولس شخصيًّا بل من أحد تلاميذه، لكن هناك بالمقابل مَن يدافع عن أصالتها وبإصرار، كالباحث SPICQ[1] الذي يعتبرها بولُسية أصيلة.

ولا بدَّ هنا من الإشارة إلى أنّ **ارتباط الرسائل الرعويّة بالتقليد** السابق لها أمرٌ مفروغ منه ومؤكَّد، حتى ولو كان هناك عدمُ يقين حول أصل مادة هذا التقليد[2]. كذلك هو مؤكّد بدقّة ارتباطها بالتقليد البُولُسِيّ الذي ينسب كاتب الرسائل المذكورة ذاته إليه، مُقدِّمًا ذاته، في عنوان كلٍّ من هذه الأخيرة، على أنّه "بولس" الرسول[3].

٤ – الرسائل الرعوية مجموعة واحدة ذات هدف مشترك

تُعْتَبَر الرسائل الرعويّة الثلاث، ١ و٢ تيموتاوس وتيطس، كمجموعة واحدة، بسبب التشابه في ما بينها من حيث المضمون والشكل؛ فهي وحدها من بين الرسائل البولسية مُوَجَّهة إلى أفراد يتولّون مسؤوليّة كنسيّة محلّيّة؛ فتيموتاوس كان مبعوثَ بولس في منطقة أفسس، وتيطس كان مبعوثَه إلى جزيرة كريت.

إنّ هدف الرسائل الثلاث هو تعليم تيموتاوس وتيطس كيفيّة إدارة الجماعات المسيحيّة المحلّيّة، لذلك يشدّد بولس على التعليمات التالية:

- الانتساب بأمانة إلى وديعة الإيمان التقليديّة؛
- مواجهة التعاليم التي تحيد عن الإيمان؛
- تعيين خدّام مؤهّلين لأن يدبّروا الجماعات المحلّيّة؛
- تنظيم العبادة في الجماعات؛
- حثّ المؤمنين على أن تكون سيرتهم حسنة وبانسجام مع متطلّبات حالتهم.

لهذه الرسائل أيضًا **أسلوب خاص ومصطلحات مشتركة** في ما بينها، وعلى ما يبدو حُرِّرَت في المرحلة الزمنيّة ذاتها. كذلك **التعاليم الزائفة** عن الإيمان هي ذاتها في العمق في الرسائل الثلاث. إنها تمثّل شكلاً من الغنوصيّة اليهوديّة.

هناك سبب وجيه إذًا لتسميتها "الرسائل الرعويّة"؛ فهي موجَّهة إلى تيموتاوس وتيطس، المبعوثَين إلى كنيستَي أفسس وكريت ليكونَا راعيَيها، وتعطي تعليمات حول الإدارة الرعويّة لهذه الجماعات، التي ينبغي أن تتمّ وفقَ الأصول الرسوليّة.

٥ – من هو تيموتاوس؟

تيموتاوس معروف جيّدًا من خلال كتاب أعمال الرسل ورسائل بولس. أول ظهور له هو في أع ١٦: ١ي حيث يفيدنا النص أنّه "تلميذ من لِسْتْرَة". في جولته الرسوليّة

(١) C. SPICQ, *Les épîtres pastorales,* Études bibliques 2 tomes, Gabalda 1969.

(٢) E.E. ELLIS, « Traditions in the Pastoral Epistles », in C. A. Evans, W.F. Stinespring (ed.), *Early Jewish and Christian Exegesis. Studies in Memory of W. H. Brownlee*, Atlanta 1987, 237-253.

(٣) M. WOLTER, *Die Pastoralbriefe als Paulustradition* (FRLANT 146), Göttingen 1988.

القديم، يُستَعمَل ٦ مرات لله، و٤ مرّات للمسيح. في الواقع، يلفت انتباه قارىء ١ و٢ تم تركيز الكاتب فيهما على "**المخلّص**" و"**الخلاص**"، كما يُظهره لنا استعراض المعطيات المنتشرة في الرسالتين المذكورتَين.

يستهلّ بولسُ رسالتَه الأولى إلى تلميذه تيموتاوس، التي يمكن اعتبارها كتاب الراعي في الكنيسة، بالعنوان والتحيّة المعتادَيْن (آ ١-٢)، حيث يدعو اللهَ "**مخلّصًا**": "من بولس رسول يسوع المسيح يسوع، وَفق أمر الله مخلصّنا..." (آ ١)؛ وبالرغم من كونه لقبًا نادرًا في رسائل بولس، فهو يميِّز الرسائل الرعويّة، كما نتبيّن من النصوص التالية:

- ١ تيم ٢: ٣: "إنّ ذلك لَحَسَنٌ ومقبولٌ أمام الله **مخلّصنا**".
- ٤: ١٠: "فإنّا لهذا نتعب ونجاهد، لأنّا نرجو الله الحيَّ الذي هو **مخلّص** الناس أجمعين...".
- تيط ١: ٣: "فأظهر كلمته في مواقيتها بتبشيرٍ ائتُمنتُ أنا عليه، وفق أمر الله **مخلّصنا**...".
- ٢: ١٠: "... حتىّ يزيّنوا في كلّ شيء تعليمَ الله **مخلّصنا**".
- ٣: ٤: "لكنّ الله **مخلّصنا**...".

ونشير إلى أنّ بولس يُطَبِّق اللقبَ "**مخلّص**" على المسيح أيضًا في ٢ تيم ١: ١٠؛ تيط ١: ٤؛ ٢: ١٣؛ ٣: ٦؛ وقد يكون ذلك بسبب التأثير الهلّينيّ حيث كانت الصفة "مخَلِّص" اللقبَ الذي كان يُطْلَق على الآلهَة وعلى الأمبراطور.

٨ – "الراعي الصالح" مقاوم "المعلمين الكذبة"

ويدخل على المسرح وجهُ "**الراعي**" الذي عليه أن يُعارِض عَمَلَ "**المعلّمين الكَذَبَة**"، خاصّة أولئك الذين يعودون إلى الوراء، إلى تقاليد يهوديّة معيّنة تصفها ١ تم ١: ٤ بأنها "خرافات وأنساب لا آخِرَ لها"، أو أيضًا إلى الشريعة الموسويّة. في ما يتعلّق بهذه الأخيرة، يتأكّد تعليمُ بولسَ النموذجيُّ (روم ٧: ٧-١٤)، وهو التالي: للشريعة هدف، وهو كَشْفُ الخطايا؛ وفي ١ تم تَرِدُ لائحة طويلةٌ منها، استنادًا إلى رسْمٍ تخطيطيٍّ دارج في التقليد الخُلُقيّ اليونانيّ واليهوديّ (رج روم ١: ٢٩-٣١).

وعلى تعارض مع "الرعاة الكَذَبَة" يطلّ **وجه بولس** الذي تُرْوَى عنه قصّةُ مُرْتَدٍّ بهدف تعظيم نعمة الله، التي يُعلَن عملُها **الخلاصيّ** في نوعٍ من إعلانِ إيمانٍ يُقَدَّم له بصيغة تميّز هذه الرسالة: "صادقة هي الكلمة وجديرة بكلّ قبول" (١: ١٥؛ رج ٣: ١؛ ٢ تيم ٢: ١١). يتأكّد هكذا أنّ التعليم المذكور هو صالح: "جاء المسيحُ يسوعُ إلى العالم **ليخلّص** الخطأة" (١: ١٥). على خلاف المعلّمَيْن الكاذبَيْن، هومَنَايوس وإسكندر، اللذين خانَا رسالتَهما، ولأجل ذلك أُنزِلَ بهما "الحرْمُ"، ينبغي أن يكون **تيموتاوس وريثَ الرسولِ** في حفظْ الإيمان بحزْم وأمانة وثبات.